

أزمة البصرة

كلمة دولة الدكتور إبراهيم الجعفري خلال استقباله رئيس مجلس النواب العراقي ومجموعة من الشخصيات السياسية والبرلمانية للتباحث حول أزمة البصرة بتاريخ 27/3/2008.

بسم الله الرحمن الرحيم

بمزيد من التحية والاحترام وعميق المشاعر نستقبلكم في هذا البيت (مقر إقامة الدكتور الجعفري)؛ لتداول وإياكم ما يهمّ شعبنا وبلدنا في هذه الظروف الاستثنائية والخاصة..

تعلمون أن هذه المسيرة التي توجت بما وصلنا إليه من اندحار الدكتاتورية، وما أفادت التجربة الجديدة من نتائج ديمقراطية، سواء ما كان منها في بنية البرلمان، أو هيئة الدستور، أو الحكومة المقررة من قبل البرلمان.

طبعاً لم يأتِ هذا اعتباطاً إنما جاء نتيجة مخاض صعب، ومسيرة مضمخة بالدم استمرت قرابة الثلاثة عقود والنصف على وجه التحديد شارك فيها الجميع بمختلف خلفياتهم المذهبية، والدينية، والسياسية والقومية.

إذا كانت مسؤولية دحر الدكتاتورية تقع على عاتق الجميع من دون استثناء، وإذا كانت مهمة إسقاط النظام المفروض على شعبنا، والذي جثم على صدره تقع علينا جميعاً فإن مسؤولية إقامة نظام جديد هي الأخرى تقع على عاتقنا جميعاً.

يشتبه من يظن أنه بعد عملية إسقاط نظام ما في أي مكان في العالم يولد بدلاً عنه نظام جماهيري شعبي يتسم بالعدالة، وينشر ظله الوارف على كل بيت من البيوت، وعلى كل مرفق من مرافق الدولة بشكل عفوي إنما يحتاج بناء نظام جديد إلى مزيد من الجهد؛ لذا فإن نظرة سريعة إلى ماضي تجارب الدول التي سبقتنا في هذا المضمار يكشف لنا بما لا يدع مجالاً للشك أنها مرتّ بظروف أصعب من ظروفنا، وأعطت كثيراً من الدماء.

من هنا.. تكون مسؤولية إصلاح المؤسسات، ومرافق الدولة، والبنى الاجتماعية ليست منفصلة عن إصلاح البنية الاجتماعية؛ لذا يعجبني هذا الترابط العضوي، والذي أستوحيه من القرآن الكريم:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ))

أقول: إن هذه الحقيقة القرآنية سرعان ما أخذت طريقها إلى كثير من الناس؛ لأنها عبّرت عن حقيقة اجتماعية، وهذا ما دفع ثاني رؤساء أميركا (جون آدمز) لأن يقول:

إن الاستقلال الذي حصلت عليه أميركا بعد التحرر من نير الاستعمار البريطاني عام 1783 لم يكن إلا نتيجة لتحرر، واستقلال الأمة الأميركية في داخل شخصيتها، بعقلها حين تفكر، وبقلبها حين تشعر، وتحس.

لقد كان ما حدث في حادثة (جسر كونكورد) التي وصلت إلى حد المصيبة في أميركا كانت مدعاة لأن تبدأ مسيرة الإصلاح التي تبلورت على شكل ثورة.

في الأمم الحية ونحن منها، الرجال والنساء من الأفاضل أمثالكم هم الذين يرتقون إلى مستوى طموحات شعبنا؛ حتى يكون جيداً.

إننا نصنع الواقع الجديد، والواقع الجديد عندما نصنعه قد يتعرض لموجة من المشاكل، ويواجه تحديات؛ لذا يجب أن نأخذ من هذه التحديات مادة لتحقيق مزيد من الانتصار.

إن هذه التراكمات موجودة منذ زمن، وهي تتداخل اجتماعياً في الحياة، كما تتداخل وجهات النظر المختلفة، لكن ربما توجد هناك عناصر شر تتخلل بعض الأوساط فتضفي على أدائها خطراً معيناً، وربما هذا الشر يتخلل هذه الهوية أو تلك؛ لذا نحتاج جميعاً لأن نتبصر، ونمعن النظر جيداً في كل صفحة من صفحات هذه التجربة، ومن خلال هذا الوعي الكاشف عن الحقائق، والبصيرة النافذة نستطيع أن نبني عراقنا الجديد.

ليس خافياً عليكم ما حصل في مسرح البصرة، ونحن وإن لم نكن بصريين بالجغرافية والأرض، لكننا بصريون إلى (مخ العظم) بوطنيتنا، وهذا حال كل بصري، وكل موصل، وكل فرد من الأنبار، أو النجف، أو من واسط، وكذلك الأمر في كل منطقة من مناطق العراق.

إننا نستوحي هذا من النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يؤكد الرسول الأكرم أن حب الوطن من الإيمان.

ولكن لا معنى لحب الوطن من دون حب المواطنين، ولا معنى لحب المواطنين من دون التضحية من أجلهم، وهنا لا حدود لهذه التضحية؛ لذلك فنحن نطلق أصوات الشجاعة، والتضحية، ونصرة شعبنا، في كل مورد من الموارد، وفي كل صفحة

من صفحات المواجهة حيث لا نخشى احداً إلا الله (تبارك وتعالى) لأننا مع كلمة الحق.

نريد للحكومة أن تدخل في سياق الدولة الجديدة؛ لأن الحكومة مؤسسة من مؤسسات الدولة، ونحن نريد أن نبني دولة جديدة.. فالحكومة مؤسسة من المؤسسات التي تشاع فيها الديمقراطية، ويتحكم فيها القانون والأمن حيث تحفظ الحكومة لهذا الشعب حقوقه وامتيازاته، من دون أن تجره - لا سمح الله - إلى معارك مع هذا أو ذاك.

ما كان لهذه الحكومة أن تنشأ لولا جهود الكثير من الذين عبّروا بدرجة أو أخرى عن معاناة شعبنا؛ فليس من السهل أن نخترل شعباً ما بشخصية واحدة.. السيد الصدر (محمد باقر الصدر) استطاع أن يتسع لشعب العراق كله، ولكل مجتمع حالة استثنائية.

كان الشهيد (محمد باقر الصدر) (قدس سره) نجفياً من حيث مناطقيته، لكنه لم يتخذ (النجفية) كعصبية، وإنما تحدث بحجم العراق، وكان عربياً لكنه خاطب الكرد، وكان من الذين انخرطوا في مدح أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، لكنه تحدّث بحجم الإسلام كله، وكان مسلماً فارتقى إلى كل المواطنين.

عليه عندما تتمثل صورة الصدر الذي انطلق في أواسط الخمسينيات أن ندرك عمق خطابه، إلا أن وشّح مسيرته العطرة في الثمانينيات (تاريخ إعدامه) حين توجّ تلك المسيرة المباركة والمظفرة، وحين هدر دمه الشريف، فاستحق الصدر أن يكون قدراً للعراق كله، ليس لأنه انتصر لطائفة معينة، ولا لخلفية قومية معينة.. أبداً، لكنه استحق ذلك لأنه أبى إلا أن يفكر بحجم العراق كله.

من وحي هذه المبادئ والمفاهيم، ومن وحي هذه المصاديق الرائعة علينا أن نرى أن هذه المسيرة ليست معزولة بحاضرها عن ماضيها.

لقد قدم أبناؤنا دماءهم، وعرقهم، ودموعهم؛ لإقامة هذه الدولة لذلك نحن عندما نتمسك بالحكومة، ونتمسك بإفرازات التجربة الديمقراطية إنما نتمسك بها، لأنها تعبّر تعبيراً دقيقاً عن حقوق شعبنا، وإنما نقف إلى جانب الحكومة؛ لأننا ننطلق من التزامنا بسيادة القانون، ولتجنّب شعبنا الخروقات الأمنية.

في الوقت نفسه نريد من أجهزة الحكومة أن تتحرك، وتصوّب بنادقها باتجاه أعداء شعبنا فقط، وأن تتحاشى - لا سمح الله - أن تطلق إطلاقاً واحدة على أي بريء من الأبرياء.. هذا الوقت يجب أن يسود فيه الحوار بالكلمة الطيبة، وأن يعلو صوت

الكلمة السياسية، والحوار السياسي فوق قرقعة السلاح، وأزيز البنادق، وضجيج المدفيعات، ونريد لهذا الحوار أن يستمر إلى الأبد، نعم.. في حال واحدة نستعمل لغة السلاح ألا وهي مع أعدائنا.

هناك اختراقات في صفوف هذا الحزب أو ذاك.. في هذا التيار أو ذاك، لكننا ينبغي أن لا ننجر لذلك، وأن نميّز بين أولئك المخترقين، وبين القواعد الشعبية، والتي كانت مادة الثورة أيام كنا معارضة، وهي مادة الدولة أيام ننوحي أن نُقيم صرحها على أساس عائلة جماعية.

إن الشعب هو قاعدة الدولة، ونحن انطلقنا منه، ونعمل من أجله وبواسطته، لذا يجب أن نعين أجهزتنا الأمنية في مسك زمام الأمن، لأن المواطنين يريدون منا أمناً، كما يريدون غذاءً، ويريدون منا عدلاً اجتماعياً، لكننا في الوقت نفسه يجب أن نغلق الطريق أمام كل الذين يدفعوننا ولو بغير قصد لأن نشته بين أعدائنا وأصدقائنا.

لقد قدّم التيار الصدري الكثير، وخطوة تجميد (جيش المهدي) خطوة إيجابية، يُشكر الإخوة عليها، وهو موقف مشرف وجيد أقدم عليه السيد (مقتدى الصدر)، وأنا أسمع كذلك بعض التصريحات، حول ضرورة سيادة القانون والالتزام به، والتمسك بالأمن، والتعاطي السياسي والأمني بما يسمح به الدستور، هذه ظواهر صحية لبناء العراق الجديد، ويجب أن نعمل على إشاعة هذه الثقافة الجديدة، ثقافة سيادة القانون، والابتعاد عن كل شيء آخر.

غير خافٍ عليكم أن الأزمة التي تمر بها مدينة البصرة - ثغر العراق الباسم - هذه المدينة، التي تمثل الخزين الحضاري لتاريخ العراق بأدبه، وحديثه، وشعره، وثورته النفطية، والزراعية، والمائية، وإطلاته على الخليج يجب أن تنعم بهذا، وتعود البسمة إليها، ويجب أن لا نجعلها تعيش حالة تهديد لأمنها من أي مصدر كان.

يجب أن يعاد النظام إلى البصرة حيث شهدت الأشهر الأخيرة بعض حالات الابتزاز والخروقات الأمنية، والتي ارتسمت على مسرح المدينة بما جعل الحكومة تفكر في بسط الأمن في المدينة، ولكن نريد أن يبسط الأمن بطريقة نتحاشى معها إلى أقصى الدرجات أن يقع في أي جهة من الجهات، والتي تعتبر مادة للثورة، ومادة للدولة في أوساطها أي ضحية.

لقد دعوت إلى عقد جلسة اليوم بعد أن راقبت مسيرة الأحداث من كثب، وتعلمون جيداً أن المهمة السياسية اليوم ليست في عاتق موقع من مواقع الدولة، إنما تقع على عاتق كل المواطنين من دون استثناء.

إن مسؤولية إقامة الدولة تقع على عاتق المواطنين كافة بلا استثناء لأحد؛ لذا على الجميع في البيت، وفي السيارة، وفي المقهى وفي كل مكان أن يتحاوروا في ذلك.

أنا هنا أكبر، وأقدر كثيراً الرجال والنساء الذين أدوا دورهم في البرلمان، أو في الحكومة في المواقع الوزارية، لكنهم ظلوا مسؤولين على الرغم من أنهم غادروا الموقع لكنهم بقوا في الواقع السياسي.

هذا هو العراق الجديد، لذلك ليس فضلاً على أحد أن البعض يتحدث، ويحمل همّ العراق، فهذا ليس عملاً طفولياً فهم يئنون لأنين كل عراقي، وهم الذين يصنعون القرارات، وهذه القرارات تحتاج إلى تصورات صحيحة، والتصور الصحيح هو المقدمة لكل قرار وموقف صحيح.

هذه الجلسة عُقدت اليوم؛ لمواكبة الأحداث الحاصلة الآن، وكذلك من أجل تقديم مقترحات وخطوات عملية للخروج من هذا المأزق أقوى مما نكون عليه.

أملّي بالسادة والسيدات كافة أن يعرفوا كيف يتموّلون من زاد المحنة، ليكبروا عليها لا أن تكبر عليهم، ويعرفوا كيف يحددون الآليات المناسبة لتقوية الإنجازات التي أقدم عليها شعبنا سواء أكان بتقوية البرلمان، أو تقوية الحكومة، أو تقوية التيارات الوطنية، أو تقوية كل شيء يرتبط بالعراق؛ لأن مفهوم الدولة يتسع لكل مفردة من هذه المفردات.

سنفتح باب الحوار في جلستنا هذه، بين الإخوة الحاضرين لتدارس تحديد المشكلة ومعالمها، ونقترح خطوات عملية لحلها، وبعد ذلك إن شاء الله (تبارك وتعالى) ننتهي إلى مجموعة توصيات بحسب ما تجول به قراءة الحاضرين حيث نقدم عليها لغرض التعامل مع هذه الحالة، مفوّتين الفرصة على أعداء العراق الذين يريدون تمزيق الصف الوطني.

شكراً لكم، والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

التصريح الذي أدلى به دولة الدكتور إبراهيم الجعفري إلى مجموعة من القنوات الفضائية عقب الاجتماع التباحثي حول أزمة البصرة، بتاريخ 27/3/2008

بسم الله الرحمن الرحيم

ضم الاجتماع اليوم مجموعة من الشخصيات الوطنية العراقية من خلفيات ومواقع متنوعة، فمنهم من خلفية برلمانية، ومنهم من له سابقة برلمانية، ومن خلفيات حركية أو مستقلة كذلك فيها تعدد مذهبي، وتعددت وتنوعات أخرى.

كل الحاضرين، شدهم الحرص على الوطن، وما يتعرض له حيث أكدوا من خلال ما طرحوه من وجهات نظر على ضرورة أن تقوم دولة القانون، ودولة النظام، ودعم الحكومة في كل ما يرسى قاعدة النظام.

في الوقت نفسه أكدوا الحرص على رعاية التيارات كافة، وبصورة خاصة أكدوا، ووقفوا كثيراً عند تأريخ (التيار الصدري)، وبطولاته في تأريخه الحاضر، مؤكدين أنه إنجاز، وإفراز وطني للمسيرة العراقية إلى جانب التيارات الوطنية الأخرى؛ من هنا تم تداول مجموعة كبيرة من النقاط وهي مجرد مقترحات وضعت؛ لتتكامل مع بعضها كمشروع لعل ذلك يشق طريقه لإخماد هذه الفتنة، وإعانة الحكومة والدولة على تجاوز ما يحصل الآن وحقن دماء شعبنا، وحماية التجربة السياسية من مغبة التعثر بهذه الحواجز.

اليوم تشكلت لجنة، وهذا هو المبدأ الذي اتفق عليه الجميع، وسيادة الأخ الدكتور (محمود المشهداني) سيتولى عملية المتابعة لها، باعتباره رئيس مجلس النواب العراقي حيث سيتولى عملية التنفيذ وتسمية الأعضاء.

هذه اللجنة ستحدد لنفسها ورقة عمل على ضوء ما جرى هنا من نقاشات، ومن محاور؛ نظراً لسرعة ما يتطلبه الأمر.

أخذ الحاضرون أيضاً بنظر الاعتبار أنه من (يوم غد) بإذن الله (تعالى) سيبدأ الدكتور (محمود المشهداني) في المطالبة بجلسة استثنائية للبرلمان، وسيتعامل مع كل احتمالاته، لإنجازها في أقرب وقت ممكن.

اليوم كانت النقاط المطروحة كثيرة، وأعجبنا أن يأتي هذا العدد المتنوع على الرغم من سرعة الدعوة، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على حرص الجميع على المصلحة الوطنية العراقية.

الجميع هنا يتطلعون إلى تقوية الدولة، وتقوية الحكومة، والحرص على إفرازات العملية السياسية، والحفاظ على وحدة البرلمان، وعلى التيارات كافة، هذا شيء بالنسبة لي إنجاز كبير، وأتمنى لإخواني من خلال هذه اللجنة تحقيق كل الأهداف التي يتطلع إليها شعبنا.

النداء الذي وجّهه دولة الدكتور إبراهيم الجعفري إلى كل المعنيين بأزمة البصرة
بتأريخ 30/3/2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب العراقي الكريم

قال الله (تبارك وتعالى):

((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان))

شهدت الأيام القليلة الماضية مساراً مأساوياً ينوء بثقله ليرتسم على شكل توتر على ساحة البصرة الفيحاء، وكاد أن يمتد هذا التوتر إلى مدن أخرى بالشكل الذي أخلّ بمصداقية وإنسانية شعبنا من خلال الاعتداءات التي حصلت بصورة عامة، إلى جانب هذا المسار المأساوي تتحرك قوى الخير من كل جانب ومكان لتقطع هذه المأساة، وترسم صورة تلوح بالأفق، حيث يعم الخير بدلاً عن الشر، ويعلو صوت السلم على صوت المأساة، وقرقعة السلاح.

من هنا بذلت الجهود طيلة هذه الفترة حيث كانت قوى الخير تراقب ما يحصل في مختلف مناطق العراق، وبصورة خاصة في مدينة البصرة الآمنة.

كنا، ولانزال نتطلع إلى حكومتنا، وإلى السيد (مقتدى الصدر)، وإلى القوى الخيرة كافة؛ لأن تأخذ دورها من أجل إحلال السلم، وإشاعة الطمأنينة، والحد من حالة الترويع، وقطع الطريق أمام الذين يريدون أن يصدعوا في صدقية ووطنية مركبنا السياسي حكومة، وشعباً، وفصائل، سواء أكانت الفصائل أحزاباً أم تيارات.

لقد ناشدنا القوى الخيرة كافة، ونحن اليوم حيث نستمتع إلى استجابة مباركة من قبل السيد (مقتدى الصدر) نعتبر أن هذه الاستجابة المباركة ستواجه في المقابل باستجابات كبيرة وكريمة أخرى، بحيث تلتحم لتصنع العراق الجديد، وتطوي صفحة المأساة؛ لتبدأ صفحة جديدة يتسابق فيها الجميع لبناء العراق، وتقديم الخدمات، وحقن الدماء، وأن تكون المصلحة الوطنية العراقية فوق كل المصالح.

في مثل هذا الظرف نحتاج إلى خلق محمدي:

((وانك لعلی خلق عظیم))

بحيث تتضاءل وتتبخّر كل النعرات، وكل حالات الثأر، وكل نزعات الشر التي تحاول أن تسترخص الدم، وتشيع ثقافة التوتر والقتل، ونحتاج كذلك إلى شجاعة علوية كشجاعة (علي بن أبي طالب) الذي استخدمها لإشاعة العدل، وتوجيه المعركة صوب الذين ينتهكون العدالة.. نحتاج إلى كل هؤلاء.

أناشد كل الإخوة أن يرتقوا إلى مستوى المسؤولية، ويتحلوا بخلق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشجاعة (علي بن أبي طالب)، (عليه السلام) والذي كان يدّخر شجاعته للمعارك الفاصلة.

نحن ندرك جيداً أن في العراق بعضاً من المنافقين الذين ينتهزون الفرص ليقضّوا مضاجع الأمنين، ويغتالوا العملية السياسية.

إن أملنا كبير بأن يتطلع كل المسؤولين، وأن يبذلوا جهودهم؛ لتعلو كلمة البناء فوق كل الكلمات، ويضعوا في أولوياتهم اليوم أكثر من أيّ وقت مضى، ضرورة بناء العراق، وإيجاد حالة من التسابق والتنافس الخير انطلاقاً من الآية القرآنية الكريمة:

((ختامها مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون))

ليس عيباً، وليس ضعفاً أن نحقن الدم، وأن نتسابق مع الآخرين يداً بيد لوقف إطلاق النار.

خلف كل قذيفة من أي طرف كان على الطرف الآخر، ومن أي صف على الصف الآخر هناك هدر للدم، وإضافة لضحية أخرى، وأرامل وأيتام وثكالي جدد.. إن معنى معركة كهذه:

لا رابح فيها ولا خاسر، حيث الغالب والمغلوب كلاهما خاسران.

نحن نبحث عن الانتصار الحقيقي في قاموس الوطنيين بمزيد من حقن الدماء، ومزيد من البناء؛ لذا نتطلع لأن يبدأ صوت السلم يدوي في كل الآفاق.

ندعو لأن تتوقف المعركة فوراً؛ لتبدأ بعدها عملية امتصاص ردات الفعل من خلال أداء وطني قوي عن طريق بث روح الثقة، وتبديد حالة الشك والريبة لدى كل المواطنين، وندعو لدعم الدولة دعماً حقيقياً؛ ليسود القانون، ونكون جميعاً مسؤولين

عن تطبيقه لا أن يقتصر تطبيقه على أجهزة الحكومة الوطنية فحسب، بل تقع مسؤولية ذلك على كل الشرائح الوطنية، ومن كل الجهات.

نتطلع لأن تمتد كل الأيدي الخيرة إلى يد الحكومة؛ لتقوّيها على استتباب الأمن، وتقديم الخدمات بالسرعة الممكنة لتقويت الفرصة على الآخرين، فرصة الإجهاز على هذه التجربة الفتية الوطنية؛ لذا نظن أن هذه الخطوة ستجد خطوات، وتلقيات عميقة عند المواطنين حيث الكل يقف إلى جانب الحكومة، وإلى جانب التيارات الوطنية كافة؛ ليعلو صوت الوطنية العراقية فوق كل الأصوات.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.